شـعر

المفارقات

نبيـل محمـود

المفارقات

شعر

المفارقات

نبيل محمود

بيت المتنبي

الكتاب : ديوان المفارقات
المؤلف : نبيل محمود
الناشر : بيت المتنبي
الطبعة : الأولى 2014

حقوق الطبع محفوظة

عن الشعر والمفارقة

((لا نستطيع على نحو مؤكد تحديد قصيدة النثر بطريقة شكلية، بعيداً عن دواخلها لأنها لا تخضع لـ " قواعد جاهزة".. وإذا كان بوسعنا مشاهدة تطور جسم انطلاقاً من خلية أساسية فإن بوسعنا أن نرى كل المجموع المعقد للقوانين التي تدخل في تركيب هذا النوع الأصيل موجود أساساً وبصورة افتراضية في تسميتها "قصيدة النثر". إنه اتحاد غريب، بلا شك، يتضمن جميع التناقضات (أفليس "المنثور" هو نقيض "الشعري" في اللغة الدارجة؟) وقصيدة النثر في الواقع مبنية على اتحاد المتناقضات ليس في شكلها فحسب، وإنما في جوهرها كذلك: نثر وشعر، حرية وقيد، فوضوية مدمرة وفن منظم.. ومن هنا يبرز تباينها الداخلي، وتنبع تناقضاتها العميقة الخطرة والغنية؛ ومن هنا ينجم توترها الدائم وحيويتها.))

((وبهذا فإن قصيدة النثر – وهي نوع من التمرد والحرية تعني ثورة الفكر، ومظهرا من مظاهر النضال المتواصل للإنسان ضد مصيره أكثر من كونها محاولة لتجديد الشكل الشعري.))

((هل يمكن الحديث عن ((تطور)) بشأن نوع حر وفردي مثل قصيدة النثر؟ لا، إذا قصدنا بذلك التحول المتصل والمطرد لنوع أدبي. ونعم إذا سلمنا بأنه في الوقت الذي تتطور فيه المفاهيم الفنية. والحاجات الفكرية والروحية للأفراد ، فلا نرى تطوراً في فكرة الشعر فقط ، وإنما في ((الشكل)) الشعري أيضا ونرى أنه يوجد ارتباط متبادل لامرئي ولكن ضروري بين العصر والشعر الذي ينتجه ذلك العصر.))

سوزان برنار، قصيدة النثر، ت. د. زهير مجيد مغامس

((والمفارقة بهذا المعنى الأخير طريقة في الكتابة تريد أن تترك السؤال قائماً عن المعنى الحرفي المقصود: فثمة تأجيل أبدي للمغزى. فالتعريف القديم للمفارقة - قول شئ والإيحاء بقول نقيضه - قد تجاوزته مفهومات أخرى؛ فالمفارقة قول شئ بطريقة تستثير لا تفسيراً واحداً بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغيِّرة.))

((إن صاحب المفارقة "المتطور جدلياً"، المليء الذهن، لا يقصر في رؤية المفارقة في أي شئ إذا أراد ذلك؛ فثمة سياق من التناقض دوماً في مكان أو آخر.))

د. سي ميويك، المفارقة

ت. عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي

البحر والشاعر وقصيدة

قصيدةٌ عذراءْ
تطفو فوق أمواج البحر
عند مشارف المدينة
بقوامها الأسطوري البضّ
قادمةً من أزمنةٍ سحيقة
حيث العذراوات
كنّ يغسلن
أحلامهنّ العاريات
على الشواطئ
***
مرّ الشاعر بالمدينة يوماً
يدندن بكلماتٍ مسحورة
على أنغام الناي
نزل الشاطئ الرمليّ
حافي القدمين
وضاجع أوّل موجةٍ بيضاء

قذفها البحر الأزرق

* * *

لمح الشاعر

القصيدة العذراءْ

طافيةً كالبلّور الأخضر

تدعوه إلى الأعماقْ

فهمّ بالتقاطها

سبح صوبها

وكلّما عبر موجةً

انزلقت القصيدة عنه موجتين

باتّساع المسافة

كانت القصيدة تزداد اكتمالاً

وعريها يشعّ جمالاً

التهبت أشواقه

وتقطّعت أنفاسه

حار بين البحر والبرّ!

حسم قلبه الأمر

وغاص أخيراً

في الأعماقْ..

* * *

عند الصباح

عثر الناس بين البرّ والماءْ

على شاعرٍ غريق

تحضنه بحبٍّ

قصيدةٌ عذراءْ!

هجرة

أوطانٌ تكنس أبناءها كالغبار
وتقيئهم من أحشائها
ما إنْ يتعلّموا إشعال سيجارةٍ أو حريق
الغيوم تقود خطاي على الطريق
تتلبّد الذكريات
وينزل المطر
من يعصر السماء
في هذا الشتاء؟
وفي قلبي
يرتعش عصفورٌ مبلّل
يقطر منه الأسى..
أيتها الروح المرتجفة
لِمَ لم تجلبي معطفك؟
قارسٌ هذا الزمن
ألسنا في عزّ الثلج؟

وتعرفين جيداً
كم هي باردةٌ وموحشةٌ دروب السفر..
أهو المعطف فقط
ما تركناه هناك
أم سنوات منطفئة في أزقّةٍ موحلة؟
لا بأس يا قلبي
فعصفورٌ مرتعش
أرحم من حياةٍ حبيسة
في قفص
وأنت أيتها الروح
تدثّري بأغنيةٍ قديمة
لم يكنْ لدينا وقتٌ
لترتيب الحقيبة
فالفجر أوشك أن يدركنا
أصوات الليل وشوشةٌ وصريرٌ وفحيح
وأضواء النهار جنايةٌ والظلال وشاية
علاقتنا بالوطن كانت مريبة
للحيطان آذانٌ وللخوف عينان..
* * *
زيت الناسك قد نضب

انطفأ وحيداً في صحراء الروح
لم يعدْ يبصر بعدما جفّف ينابيع الجسد
والصوفيّ لم يجدْ
في الحقل زرعاً ولا حطب
اقتات بالحروف وتدفّأ بالخِرق
كم من حلاّجٍ دخل المدينة
ونجا من الصلْب
ما إنْ أفصح قلبُه عن دِينه؟
لكل مدينةٍ أسوارها وأسرارها
سجونها وجلاّدها..
***
بأيّ حقلٍ تينع الثمار
فلن تسقط إلاّ في مدينة!
الفلاحون نزلوا المدينة
واحتطبوا كلّ حديقة
وحدّقوا بذهولٍ في القُبَل
لم يبقَ شجرٌ يواري الشفاه
ذُعر العشّاق
وانطفأت الشعلة
في قلب ثوريٍّ عابس

لم يوفّرْ غير رغيفٍ يابس
معاملٌ لم تنتج غير الصفيح
ووطنٌ لم يبدع إلاّ مدن الصفيح
كان الوطن يصغر
وكنّا نكبر ونكبر ونكبر..
قال مهرّج المدينة العابث
- لنؤجّر الأوطان ونهاجر..
مسكينٌ مهرّج المدينة
لم يعرفْ أنّ الأوطان
قد رُهنتْ منذ زمنٍ بعيد
بسبب صفقة بيعٍ مجحفة!
***
الحشود تقطفني من نفسي..
أنا لست أنا
إمّا مجرمة
أو محرّمة
هذه الأنا..
كم تولّهْنا بالإثم
وكم سحرتنا الخطيئة
فانبرى الحجاب لحجب الحقيقة

تشاغلنا بالعري عن العهر
انتحب الصوت وشحب الصدى
ولم يلُح الطيرُ في المدى؟
بين الماضي والمستقبل
حاضرٌ من الشطط!
جرحٌ مفتوح
على امتداد الروح
بين الوطن والغربة
حبلٌ سُرّيٌّ طويلٌ كالمتاهة..
من يضبط إيقاع الخطى؟
والدرب إمّا رملٌ أو حصى
إمّا وحلٌ أو ...
إلى كل الجهات
أمدّ البصر
فينكشف عالمٌ واسع
آه كم أنت شاسع
أيها الوجع..!
***
كيف لي أن أغنّي الجمال الرفيع
وكلّ هذا الانحطاط يحاصرني؟

حتى الإلاهات الفاتنات الغابرات
رأيتهنّ يعْبرن الشارع
ويحملن تفّاحاتهن الحمر
تدحرجتْ إحداهنّ
واستقرّت عند حافة الرصيف
نصفها مغمورٌ بمياه الصرف الصحي
تحت عمود الإنارة ذي المصباح المعطوب
النوم قريبٌ والحلم بعيد..
أغمضت عينيَّ عند الرحيل
وجررتُ قلبي
إلى البحر
والقصد ما وراء البحر
بسط عصفور القلب جناحيه
ولامس حرير السماء
نقر الغيم
وانسكبت شلالات ماء
القارب نصلٌ صدئ
يجرح جسد البحر
والحمولة آهاتٌ مكتومة
تعبر خط استواء الألم

إلى شمال الحلم

تهرب من هذيان الأوطان

(أُهربْ يا ولدي فالوطن قادم..

هذا ما قالته الفلاحة لابنها) [1]

* * *

لا مكان للفقراء في الطائرات

لا مكان للفقراء في القطارات

قوارب الموت

سرَتْ بنا بصمت

فالبحر قدرنا..

كم بلّلَنا البحرُ؟

وكم موّه ملامحَنا الضباب؟

لكنّ سُمرتنا وغبارنا القديم

ظلّا عالقيْن بأجسامنا كالقار

أرهبنا انخفاض درجة انجماد الحقيقة

وأرعبنا ارتفاع درجة حرارة الجنوب

تحت ضغط الجنون

---

(1) "Scappa, che arriva la patria" (عليك بالهرب، فالوطن قادم) أمّ فلاحة إيطالية لابنها. منقول عن الكاتب الإيطالي جوفين (1904-1950) (F. Jovine).

إيريك هوبزباوم، عصرالإمبراطورية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2011، ص 279.

نيراننا كانت صديقة..!

***

بعضنا سكن الأعماق

ونام في تابوت رمادي

يشرب الزرقة الأبدية..

والأحلام المتفسّخة

تُدهش العيون المعدنيّة لأسماكٍ غبيّة

تنتف أجساداً مكفّنةً ببرودة العمق المعتم..

مَن يسمع صوت النحيب

وسْط هدير الأمواج؟

مَن يعثر على دمع الضياع

بين لزوجة الطحالب الخضر

في قاع البحر؟

عند الشاطئ الآخر

وللمرة الأخيرة

التفتنا إلى البحر

كانت تتكسّر على سطحه بقعةُ حزنٍ طافية..

***

ما جدوى الرحيل؟

وخيباتنا تملأ الحقيبة

والأحزان فوق الأحزان

تسيل منها الأوطان

نغسل الوجوه من بقايا الكوابيس

ونمحو تجاعيد الخوف من طيّات الحروف

الكلمات أصوات الغياب

توقظ فينا ما يتوارى..

ما أحوج الإنسان للنسيان

عند اكتظاظ الذاكرة بالآلام

لا سلام عند إطباق الجفون

فمنذ الميلاد وحروب الأشباح

دائرةٌ في الأرواح

ما الذي يتخلّف من الحيوات؟

غير أغانٍ وحكايات

تعزفها أنغامٌ

وتسردها كلمات..

أنت والمطر

أنت والمطرُ
غمرْتماني
فأطلقْتماني
طفوتُ فوق العالم
كالحلم المشبع بالحبِّ
تلمع به الصورُ
يرقص فيه النغمُ
يقطر منه العسلُ
لقد أزهر فينا المطرُ..

* * *

قالوا هو مسحور
قالوا هو مخمور
عندها شمّوا فمي
وقالوا
تفوح منه رائحة المطر

تفوح منه رائحة الحبِّ

تفوح منه امرأة!

ولكنّهم لم يعرفوا أية امرأةٍ أنت؟!

هدّدوا بالرجمِ

تعلّقتُ بالنجمِ

حملتني إليك الغيومُ

وفوق ثغرك نثّني المطرُ..

***

حين لمستك

تصبّب الشِّعر مني

وراح صوتك في دمي يغنّي

وفاح منا المطرُ!

***

حين اقتفيتُ ذات عمرٍ بهجةَ الأنهار

لم أكن أعلم

أنّ موعدنا المطرُ!

السماء في مدينتي

السماء في مدينتي
مشنوقةٌ بالأسلاك
والزرقة مذبوحةٌ
فوق طرقها الأسفلتية
والبشر آهاتٌ مكتومة
***
أمس نزل المطر في مدينتي
اغتسل كل شيءٍ
وذاب الغبار في الماء
عن مبانيها
عن شوارعها
عن حدائقها
وفي روحي
امتزج الحلم بالذكرى
تدافعا في شرفةٍ شاهقة

وخوفاً من السقوط

أسلمتُ نفسي إلى النوم الرحيم

***

اليوم أشرقت الشمس

واغتسل كل شيءٍ بالمطر

كل شيءٍ صار جديداً وناصعاً

رفعت رأسي عالياً صوب السماء

شاهدت ما لم يكنْ مغسولاً بعد

كانت الأسلاك هناك

تحجب السماء

الأسلاك هناك في الأعلى

تتدلّى منها الشرور والآثام!

من يحلّق ليلا؟

هل تطير الفراشات ليلاً؟
وهل تحلّق النوارس ليلاً؟
كيف تحضرين إذاً؟
وأيّة أجنحةٍ تحملكِ
بعد منتصف الليل؟
فيضيء حضورك
ليل الروح..
كم تُعرّينا الأحلام ليلاً؟
وتفضح رغبات النهار
***
لأنّك موجودة
ولأنّني عرفتك
ابتسم العالم لي وارتدى حُلّة الأعياد
رغم عبوسه المعتاد!
***

هل همس أحدٌ في أذنك يوماً
بأنّك خطرٌ على النثر؟!
ففي حضورك
يتعدّد لساني
وتتكثّر المعاني
ألتهم تفاحات الفجر
وأتلو آيات من سورة الشِّعر
* * *
مهما كنتُ
فمثلك لن أكون
في أعماق الظلمات القصية
تهزّين شجرة النور
فألتقط ثماراً من بلّور
تنبض فيها قلوبٌ من ياقوت
لشعراء قضوا عشقاً
في أزمانٍ أسطوريّة
يطفح شِعرهم منّي
كما ينضح النبيذ الأحمر
من حبّات العنقود
* * *

أتعلمين أيّ عشقٍ تشعلين؟
وكيف ترقص الروح إذْ تحضرين؟
عندما تزيحين الستار
عن وجه السماء
تتلألأ باقات النجوم
ويصبّ شلاّلك العاري
صخبه الهادر
في أوردتي وشراييني
ويجرف كيانك كياني
نحو المصبّ المقدّس!
وخيال الماء
يمحو التواريخ والأسماء
فيمسّني السحْرُ
أأنت وهمٌ أم أنت شِعرُ؟
عجباً،
أبَعْدَ كل هذا العسل
وجنون القُبَل
أسأل من أنتِ؟
لقد التبس أمري

فلتصبحي على خير
وأرجو أن أصبح
سالماً من الهبَلْ!

بغداد

((رثاؤك مرٌّ أليمٌ أيتها المدينة..))[1]

أفَلَتْ أقمار ليلك يا بغداد
وذبلتْ أشعار عشقك يا بغداد
الأشجار تلفّتتْ بحثاً
عن مواعيد الأحبابْ
المقاعد خاليةٌ
والأزهار ذابلةٌ
ملقاةٌ فوق شحوب الأعشاب
وكفّ عن حدائقك عطرٌ
لطالما بثّه القدّاحُ

(1) من قصيدة رثاء مدينة أور، طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، كلية الآداب، بغداد 1976، ص 214.

(الشعراء والصور) صمتوا
والنواسيّون فارقوا أبا نواس
تكسّرت الأقداحُ
وتكدّرتْ في خوابيك الراحُ
ورائحة سمكك (المسگوف)
ما عادت تلفح شواطئ دجلة
الأمواج متوجّسةٌ من لمس الرمل
فالأكفّ قسَتْ أصابعها
وراحت تجرح الماء كالأنياب
خفتتْ أغاني آخر الليل
وانطفأتْ أضواء أعمدة النور
ياه يا بغداد ما كلّ هذا الظلام؟!
يكاد المرء لا يميّز درباً إلى البيتِ
من هاويةٍ تودي إلى الموتِ
لم تحفظي أحبابك
ولم توفّري سمّارك
وفرّطت بعشّاقك
هاجروا أسرابا
غادروا أغرابا

أقْبَل الويل عليك من كل باب

فكلّ بابٍ خرج منه عاشقْ

أطلّ منه عليك ألف ناعقْ

توحّش ليلك بالنعيق

ونهش النهار وجهك بالنحيب

فكم من داعرٍ وفاجرٍ وغادر

أرْداك وصمةً

على ناصية التاريخ..

وكم من غراب

تلذّذ بكل هذا الخراب؟!

بالدم صرت تثملين

تكثّرت الأرقام

ما عاد أحد بقادرٍ

على إحصاء قتلاك

ولا منْع دموع ليلاك

كل والدةٍ منزوعة اللبِّ

كل محبوبةٍ مفجوعة القلبِ

***

يا لقلبك يا بغداد

كيف يخفق؟!

وقد ودّعتك الأعياد؟!

ألمْ يحترقْ قلبك بعْدُ في هذه النار؟

ودخان احتراقك

يجتذب من كلّ الصحاري

المزيد من التتار

فهل عشتُ كل هذا العمر

لكي أبكيك وأرثيك يا بغداد؟!

وأشاغل ليلي بالأشباح

لعلّه يحمل لي بعض الذكرى

من صِبا كان يمرح يوماً

لاهياً في باحة الأفراح..

الشيب بات ظلاً وضبابا

لشبابٍ غدا عَوْده سرابا

فهل بات عَوْدك أيضاً سراباً؟!

وهل شعّ مجدك دهراً فغابا؟!

* * *

آهٍ يا بغداد يا شرفة الأحزانِ

أؤمّل نفسي

وأقاوم دمعي

أنفض عن روحي الأشباح من حانٍ إلى حانِ

فلا يعينني انكفاءُ

ولا ينقذني انطفاءُ

كيف يكون الإنسان بالنسيانِ؟

في زحمة تحوّل الأحوال

تهزّ كتفي يدٌ

ألتفتُ فيشرق وجهٌ نبويّ!

- إيهٍ ((جواد))[1]، ما الذي حلّ بنا؟

وما المآلْ؟

وككلّ صانعٍ ماهرٍ مثّالْ

يجيبني بأصابعه ويشير إلى (نُصْبه)

أرفع رأسي

أرى التاريخ حيّاً ينبض بالجمال

وما أراه في جزءٍ هشّاً

يشتدّ في آخر ضدّ المحال

أعود إلى وجه جواد فلا أراه

أرفع رأسي صوب النُصْب من جديد

فأرى جواد يحدّث التاريخ ويشير

ووجهه يضحك

(1) ((جواد سليم)) الفنان المبدع الذي حاور الجمال والعراق حاضراً وتاريخاً في أعماله.

فـ ((نُصْب الحرية))[1]، تحت الشمس،
في قلب بغداد لا يزال..

(1) ((نصب الحرية)) في قلب بغداد من أهم أعمال الفنان ومن أبرز النصب الفنية في الشرق الأوسط، وفيه سرد فني لتاريخ العراق منذ بدء التاريخ المدون، وحتى ثورة 14 تموز 1958. تم إنجاز النصب في العام 1961، وقد توفي الفنان في 23 كانون الثاني 1961، قبل أن يشهد افتتاحه.

أروع ما في النصب حضور الإنسان وغياب الحاكم!

سيدوري، زيديني خمراً!

(تنويعات على الحوار بين سيدوري - صاحبة الحانة - وجلجامش)

لثْمُ الجمالِ
حرفةُ مَنْ أدار عشقُه طواحينَ المحالِ
عتَّقتْ (سيدوري) خمرته
ومع وصاياها سَقته عسلاً
يقطر من حلمة الليل ومن ثغر الخيالِ
- البعد الفيزيقي يعوّض أرواحنا أحياناً
بالقرب الشعري الحميم..! -
(ننسون) الجليلة
أمّاه! هلاّ فسّرْتِ أحلامي
صديقي (أنكيدو)
حميمي الذي رافقني إلى غابة الأرز
صديقي الذي حماني من وحوش الغابة
الغابة التي جئناكِ منها بالخشب

لسريرك الملكي

وأترعنا كؤوسكِ من نبيذها الأحمر

من كرومها جئناكِ بالنبيذ الأحمر

وأطربنا (أوروك) بحكاياها

رأيت في نومي صديقي

رأيته مقذوفاً بفخذ الثور

(إنانا) لم تمهله

رأيت صديقي

مسّه البرق

وشقّه الرعد

صديقي الذي جلبته من البرية

صديقي الذي حماني في غابة الأرز

أوّاه! يا أمّاه!

هلاّ فسّرْتِ لي أحلامي..

* * *

((سيدوري صاحبة الحانة الساكنة عند ساحل البحر

شاهدت جلجامش مقبلاً..

...

إنْ كنت حقاً جلجامش الذي قتل حارس الغابة

وغلبت خمبابا الذي يعيش في غابة الأرز

...

علامَ ملك الحزن قلبك وتبدّلت هيئتك

...

وعلامَ تهيم على وجهك في الصحارى؟

فأجاب جلجامش صاحبة الحانة وقال لها:

...

قد أدرك (مصير البشر) صاحبي وأخي الأصغر

آه! لقد غدا صاحبي الذي أحببت تراباً

وأنا، سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين

فيا صاحبة الحانة، وأنا أنظر إلى وجهك،

أيكون في وسعي ألاّ أرى الموت الذي أخشاه وأرهبه؟))[1]

* * *

الليل قد طال يا (سيدوري)

ولائحة الاكتئاب طويلة

صبّي خمركِ، واملئي كلّ الكؤوس

من فرح الكروم

أو من زلال التمور

لا فرق، فقد جفّت النفوس

في البراري تحت الشموس

---

(1) ملحمة جلجامش، ترجمة طه باقر.

رحيمةٌ! أنت يا ساقية الخمور

وخوابيكِ أنهارٌ تُطفئُ عطش الصحاري

يا منيرة الليالي

يا دليلة الأرواح

عطرّي المائدة بالليمون

ولا تمنحي فرصة النضوب للكؤوس!

* * *

((فأجابت صاحبة الحانة جلجامش قائلة له:

إلى أين تسعى يا جلجامش

إنّ الحياة التي تبغي لن تجد

حينما خلقت الآلهة العظام البشر

قدرت الموت على البشرية

واستأثرت هي بالحياة

أما أنت يا جلجامش فليكن كرشك مليئاً على الدوام

كن فرحاً مبتهجاً نهار مساء

وأقم الأفراح في كل يوم من أيامك

وارْقصْ والْعبْ مساء نهار

واجعل ثيابك نظيفة زاهية

واغسل رأسك واستحم في الماء

ودلل الصغير الذي يمسك بيدك

وأفرح الزوجة التي بين أحضانك

وهذا هو نصيب البشرية..))[1]

* * *

للخمر كأسٌ

وللعشق قلبٌ

وللموت وقتٌ

فلتشْمل الروح

حتى نهاية الرقصة

آه.. ما أصغر كأسي

وما أوسع البحر

السماء أبعد ما تكون

أشرعتي تمزّقتْ

وأجنحتي تكسّرتْ

لكنّه الشوق لا يعرف السكون

يخفضني ويرفعني

يجذبني ويدفعني

أحار بين الرحيل أو الجنون

أراني في عينيكِ

محلّقاً وغارقاً

(1) ملحمة جلجامش، ترجمة طه باقر.

بين انفتاح وانطباق الجفون

* * *

السؤال الأبدي

ما زال ينزف غزيراً في أعماق الروحْ

إلامَ تؤول أيّها الروحْ؟!

صرخة

منذ اللحظة الأولى
اللحظة التي سقطتُ فيها
وارتطمتُ بهذا العالم
اللحظة التي شممتُ فيها رائحة هذا العالم
صرختُ عالياً
وفي الستين ما زلت أشمّ
رائحة حرائقه التي لم تنطفئ بعدْ
وأصرخ عالياً..
دخان يغشى العيون
والدموع قطرات حزن
تنضح من الأحلام
الأحلام التي يعصرها العالم
ويعجنها مع الدم والآلام
الدموع وعجين الزمان المجعّد
وقصب الأعمار

حطب النار

فالعالم يطهو حساءً اسمه التاريخ

والأحلام دخان..

***

منذ ابتكار الأسماء

واختراع الأراجيف

أنفق هذا العالم ملايين الحيوات

وكدّسها في مقابر الوهم

وأفزع عصافير الجنة

ففرّت محلّقةً في السماوات

ولم تجد طريقها

إلى الجنة حتى الآن..

***

تعدّدت مذاهب الموت

ووجوهه تلوّنت

موت أحمر

موت أسود

موت أزرق

... إلخ

تشكيلة مذهلة من ألوان الموت

صبغَتْ وجهَ هذا العالم القاسي المخيف
لا أعرف كيف نجوتُ حتى الآن
من ضربة الفرشاة
ومن لطخة كل هذه الألوان؟
***
اعتادت جدتي أن تحكي لنا
في ليالي الشتاء الطوال
والبلوط يطقطق فوق النار
حكايات مخيفة
عن عالمٍ غامضٍ قديم
وكيف أنّه وُلد في لحظة ألم
وكيف أنّه سقط
دمعةً من ملحٍ ودم
من عين إلهٍ حزين
هاله ما رآه في لوح الأقدار..
كانت تقصّ سيرة هذا العالم
وعما سيتعرض له كل من يلقاه
من مراراتٍ وأوجاع
كان البلوط يطقطق فوق النار
والحكايات تقرص قلوبنا الصغيرة

فكنا نلوذ باللحاف
نتكوّر تحته ونغطّي وجوهنا
حتى انتهاء حكايات الطفولة!
***
والآن بعدما زحفتُ ومشيتُ وتعكّزتُ
في هذا العالم
ورأيت منه وما فيه
من فظائعٍ وأهوال
فهمت سرّ الاحتجاج الأوّل للإنسان
وسرّ صرخته الأولى
عند استنشاق
رائحة هذا العالم..

بعضك كلي وكلك المحال

ينتابني الرحيل إلى عينيكِ
فأحبس الدمع في أعالي العيونْ
تفلت الروح منّي
كطفلٍ ضاع من أمه
وسرى في الظلام..
إليكِ

* * *

ناصية دربي
وقافية قلبي
أنحو وأقفو
فأنت النص الأوّلُ
وأنا المؤوَّلُ
طالتْ حقيقة مجازكِ
وكلّ تأويلاتي قصُرتْ
فباتتْ تضيق بي الحالُ

في بهاكِ ويهرب منّي المآلُ
أمسك بعضكِ بكلّي
أمّا كلّكِ فهو المحالُ
***
أهزّ شجرة العائلة
لعلّ نسباً في دمي
يدلّني على سبب انتمائي إليكِ..
تتساقط وجوهٌ وأسماءْ
لستِ منها أو فيها
لكنّني أجدكِ في قمّة الروحْ!
تتدلّى كالحلُمِ
مكتوبةً بماءٍ من ذهب الوله
ومعلّقةً على أستار الرغبة!
تتعرّى في أعماقي
وتشرق في ظُلْمتي
***
أهصر قُبباً
وألعق عسلاً يقطر
من تورّد المسام
تحت أنامل الجنونْ

وأعصر كرمة الليل

حتى ينبجس الهَبَلُ

في كُوى الثنايا

وأطراف الخلايا

وفويق القبل تنطبع القُبَلُ

حتى يمّحي الفراغ

ويتّقد الجمر الأحمر

تُحَيْتَ شرايين الوصْل

فيسري النبيذ الأحمر

دافئاً

دافقاً

خالصاً

كالخدَر المرشوفِ!

من خوابي الجسدِ

ونغفو

كالقدر المسفوحِ

على بواقي الجسدِ

عند بوّابة الأبدِ

* * *

عندما نتسلق شجرةً

لا نسأل أيّهما أقرب

الأرض أم السماء؟

حسْبنا أنّنا..

في أعماق الخضرة!

عَشَرَات

في العاشرة كنتُ
أخرج للهْو مع الأشجارْ
وأفرش روحي
جسداً غضّاً فوق العشب
تدغدغه الأمطارْ
***
في العشرين كنتُ
أعاند الأنهارْ
بجسدٍ جامح
وبقلبٍ طامح
كنتُ أعاكس التيّارْ
***
في الثلاثين كنتُ
أزِن الزمانْ
بين فورة أمسي

وانكسار الحاضر

داخل المكانْ

* * *

في الأربعين كنتُ

أطرح خساراتي

من رصيد الأحلامْ

فتتساقط الأيامْ

من تقاويم المسرّات

* * *

في الخمسين كنتُ

أنشّ الذباب

أثناء قيلولتي

وأنصت شبه غافٍ

لحفيف الحكاياتْ

باحثاً عن غصنٍ بضّ

بين هشيم الغواياتْ

* * *

في الستين..

لم يكنْ..!!!

ليلة موحشة

ينظّف مائدة وحدته
من بقايا طعام العشاء
تتوغّل أغنيةٌ في أحراش الروح
تطلّ على شرفته
ليس من وردٍ أو نبات ظِلّ
يبحث في قبو القلب
عن زجاجة النبيذ..
لم يدركْ بائعَ الخمور عند عودته
أُغْلِقَت الليلة، مبكِّراً، نافذةُ النسيان
أو أنّه أخطأ حساب الوقت
سيعوّض الجرعات اللاذعة بالتبغ
يمزج الأغنية بالدخان
يُفرغ في جوفه ما تبقّى
من قطراتٍ في كأس الأمس
اللحظات موحشةٌ ومتوحشّةٌ الليلة

تحبس الشوقَ في قفص الليل
كطائرٍ مرتعشٍ بين الرغبة والذكرى..
يفتح الفجرُ باب القفص
فيهرب حلمٌ
الأرَقُ الأزرق يترك الدمعة العارية
تغفو على الوسادة البيضاء
كبقعة حزن..
يجفّفها بقهوة صباحٍ ممتزجةٍ بطعم التبغ
يرتدي ملابس النهار
ويغلق باب الليل
يدسّ المفتاح في جيبه
يدحرجه السلّم إلى رصيف المدينة
اللحظة الموحشة ظلّت لوحدها تجهش
فوق فوضى السرير..

شجرة التوت

لا تُريقي الروح منّي
ليس لي فيها سواكِ
وفي لياليها ليستْ سوى شوق يغنّي..
أحتالُ على الزمان بهواكِ
فتشحب الأشياء
وتهرم في سَوْرة الأقدارِ
وتفلت غضّةً بحبّكِ أشعاري
كيف سأرحل عن عالم أنتِ فيه؟
كلّ عزائي أنّني أنقذتُ بعضي
بنفحة بهاكِ
وبكلمات نشيد غنّاكِ..

***

إنّ جرعة الروح الأخيرة
ليست بكافية
على سقاية قوافل حجيج الهوى

وخيوط الحرير لم يعد لديها المزيد
من أوراق التوت
لتنسج ثوباً يليق
بحلم يطلّ من شرفة الربيع
ينثر كركرات الينابيع
ويزيح ستارة الليل
عن خضرة الفجر
***
ندى الورد يبلّل نعاس الروح
فأغفو حالماً..
وأخلّف ورائي عالماً يفوح بالعطر
تطوّق خصره السنابل
ويرقص على مشارف البحر
***
شجرة التوت الهرمة
تمضغ لحاء السنين
مثقلةً بالغصون العاريات
يهزّها الربيع
فيهطل غناءٌ حزين
من فصولٍ قديمة

ومن ذكريات الحرير

* * *

شجرة التوت الهرمة

تودّع الربيع بعد الربيع

وجذعها المنخور

ينزع قشوراً من تعب

وشقوق اللحاء

تذرف دموعاً من صمغٍ

في فِناء الشتاء..

الموت السعيد!

صباح الخير أيها الموت
أيها الصديق الحميم
سأوافيك عند المساء؟
ليس ذنبي أنّكَ صادقْتَني على كبَر
لم أتعرّف عليك عندما كنتُ صغيراً
كنا نسبح كثيراً
في ينابيع الطفولة
وأغفلْتَنا حينذاك
كانت حدائق الأعياد
تقطف من شفاهنا ضحكاً بريئاً
وتلوّن سماءَنا البالونات
وأنت لم تكن تلتفتْ إلينا
كنا نتسلق أشجار الصبا
نصعد لاهثين سفوح الكهولة
كنا نراكَ تسير

في طرقكَ المألوفة

قانعاً بصرّتكَ الصغيرة على ظهركَ

فلم تكن جشعاً

ولم تكن تطمع بنا

كانت لنا طرقنا

وطريقكَ كانت واحدة

نعم، كنا نلتقي في نهاية الأمر

ولكنّكَ لم تكن تطلبنا

قبل الأوان

فما الذي أثار نهمك

وفتح شهيتك اليوم؟

صرتَ تأكل حد التخمة

وتمضغنا حصرماً قبل النضج

اقتنيتَ مركبات كثيرة

تعينك على حملنا

من طرقات المدينة

طالت قافلتك

وتعدّدت طرقك

لم نعدْ ندرك أعيادنا

والصباحات باتت تنتظر

أمسياتها بوجل

دون لقاء..

***

البعض مات بالحربْ

وبالقهر مات البعض

هل ضاقت بنا الأرض؟

وهل جفّ الحبُّ؟

وحتف كدحه

قارَبَ القبرَ حيٌّ

والحياة فيه محض وهم

الكثير مات بصدفةٍ عمياء

وبوعْد نعيمٍ داعر

من مئذنةٍ شمطاء

تدعوه إلى موائد الفناء

الوليمة أكبر من أن تحصينا

والطعام مهما تكاثرنا يكفينا

فالدعوة عامة للجميع!

***

صباح الخير أيها الموت

قلتُ: سأوافيك عند المساء

فهل فقدت صبرك

حتى صرتَ تطمع بنهاري الأخير؟!

تباً لك من صديق

أقلقني منذ فجر الحياة

تطلّ بوجهك الشاحب

من ثنايا الوقت

تربك كل التدابير

تنكث الوعود وتخْلف المواعيد

تداهمنا من فوق ومن تحت..

ومن قبل ومن بعد

تبّاً لك من صديقٍ

أقلقني منذ فجر الحياة!

الفردوس البشري

ليس بكاءً كالبكاءْ
والدموع أضواءُ شمعةٍ
تمسح وجه ليلٍ عجوز
ماسةٌ تشعّ
كقلبٍ يخفق في شرفة عشقٍ وليدْ
في خرائب عالمٍ يمضغ الرمادْ
لم يفْلتْ منه سوى بحّار
يقطع البحارْ
منذ عصور ما قبل التوطّن
يقوده بريقُ عينين بلون البحر والسماء
لم يعرفْ وطناً
نجا من قسوة الأرْضِ
ومن تعاسة المكوث في بقعةٍ متوحّشةٍ
أسْلم نفسه إلى جسد الماءْ
وتموّجات الشوق الشهيّة

لم يلْقِ مرساته في أيّما ميناءْ
فالسحر كان يُبَثّ من فنارات ليلية بعيدة
باتجاهٍ معاكسٍ لفنارات صيّادي البحارْ
كأنّما ما زال مربوطاً إلى رحِمٍ أبدية
يحاذي السواحل
ويستدير قافلاً إلى أعماق البحارْ
لم يولدْ ليمشي على قدمين
وليس سمكةً لكي يغوصْ
هكذا هو مُعلّقٌ وعالقٌ في الما بين
يدور ويدور
لم يعرفْ حرائق اليابسة
يظنّ الدخان البعيد
المنبعث من هناك وليمة عرسٍ أو عيد
فلم يجرّبْ في حياته
سوى اشتعالٍ وحيدْ
في قلبه
مشدوداً بشعاع سحْرٍ غريبْ
يقوده من بحرٍ إلى بحر
لم يدخل قارّةً
ولم يأْوِ إلى بلدٍ

لم يذقْ طعم اليابسة
كان يسافر من قلبه إلى قلبه
يلوح شعاع السحْر بعيداً أحياناً
وأحياناً يسطع في قلبه
لم يرَ في الآفاقْ
إلّا قلباً كبيراً
يضبط إيقاع دقّات قلبه الصغير..
***
مذ كنا صغاراً
حذّرونا منها ولقّنونا
لا تقْربوا منها
احذروا من تفاحة حواء الحمراء
احذروا من السقوط
احذروا من بساتين التيه
لا تتركوا سفينة نوحْ
ولكن من يلجم الروحْ؟!
وتيقّنتُ أخيراً
أنّهم يَرْوون القصةَ معكوسةً
فالتفاحةُ تبقى في النهاية مشتهى البداية
وكان الإنسان منذ البداية

أشْطر من أنْ يتجنّب السقوط
في الفردوس البشري..!

سيرة الرماد

دخان السيجارة
يحمل الحزن بعيداً
والرماد المفتّت يتخلّف في المرمدة
بعد انطفاء الجمر
قرب الأعقاب البنيّة..
الرماد بقايا ماضٍ يشي بما احترق من سنين
وما انسكب من خمر..
- كم علبة من السجائر أحرقتَ
لتروي لنا أشواق العمر...؟!
***
لكنْ كيف تدبّر أمره
من لم يدخّنْ في عمره أيّة سيجارة؟
وكيف كتب فصول روايته؟
وكم امتلك من قلوبٍ قابلةٍ للاشتعال؟!

شتاء آخر..

يعود الشتاء..
يشحّ النور
وتنتعش ذاكرة الماءْ
ويستبدل الأطفالُ الألعابَ والأشياءْ
بدفء الحكايا حواليَ مجامر الجدّاتْ
فيطقطق البلّوط
على الجمر وتنطلق الجنّياتْ..
***
إلى قلبه يأوي المقرور
يتكسّر البلّور
يتناثر الضوء المجروحْ
كحبّات الرمّان
على أسفلت الليل
وريحٌ تهزّ مرايا الماء
غريقٌ من الموسم الماضي يصرخ في الروح..
***

ندى الليل يقطر من عيونٍ سود
يتسلّل إلى الورود البيض
وينتظر منديل الشمس
بدأتُ شتاء العمر
بنفخ الجمر
وتأمّل الوحشة في خطوط الكف
فكان البرق
كحمّى الخمر
كتوهّج الذكرى قبيل احتضار النار
فى موقد الأيّام
الريح تعصف بالأوراق
والروح تستذكر الأشواق..

مسافر

هذه الأرض..
كلّما سُفك الدم فيها أكثر
تفجّرت بالنفط أكثر فأكثر
بين بئرين
يرصف الحاكم طريقاً
من الجثث
يمتد من الشعب إلى العرش..
بين وردتين
طويتُ منديلَ عشقٍ أحمر
في حقيبة الغربة..
بين سيجارتين
توهّج قلبي
حتى الانطفاء في رماد الانتظار..
- أترغب في سيجارةٍ أيها المسافر؟
تفضّل،

...من فضلك يا صديقي!

هل تعرف موعد وصول قطار المستقبل؟!

أضاءت وفاح الفالس

ذات ليلةٍ شدّت الوشاح
غافلتْ هوس الرياح
اندفعتْ إلى الداخل
انفلت شَعرها
كحكاية شتاءٍ طويلة
أمام موقد الجمر
انسكب سحرها
في العروق
خلعتْ معطفها الغائم
ودخلت كالشمس
في أعماق القلب!
بدأ الحفل
وفاح الفالس
جرى الدانوب الأزرق
يسقي شطآن الروح

يعلو ويهبط

يهمس ويصخب

يصحو ويغفو

تصدح الأنغام والأضواء

كأمواجٍ تموج من منابع الجمال..

* * *

مكث الجمال

يشعّ كالماس في الأعماق

تلاشى التصفيق

وانطفأ نور المكان

ارتدتْ معطفها الغائم وغادرتْ

ولكنّ قلبي

ظَلّ يغنّي ويضيء

في كلّ الليالي

المسكونة بالبرد والوحشة

* * *

أنْ تسكن قلبكَ امرأةٌ مضيئةٌ

وأنْ تملأ روحَك أنغامُ الفالس

فلنْ تكفّ، أبداً، عن التوهّج والغناء

إلّا عند انطفاء الكون..!

صباح مساء

كل مساء
بعد أراجيف النهار
أُجرْجرُ الطفل الذي
أتعبه التجوال
في عالم ما بعد الطوفان الكبير
أهرب من ساحات الثرثرة
ومن دوائر العماء
أنزل في عينيكِ
نحو حضن روحكِ المضاء
أغلق خلفي كلّ أبواب الهراء
أغفو على مخدّتكِ الورديّة كالأحلام
كالطفل القديم!

* * *

أحلمُ أنني حُلُمُ
يصحو على صوت حقيقتكِ

كفراشةٍ بيضاء في فِراشكِ الليلي
وأداعب نوافير الجمال
***
كل صباح
أسحبُ نفسي منكِ
همْساً منسلاًّ كخيطٍ من وشاح
أتيه من جديدٍ في النهار
أدور حول نفسي
يعْقدني عالم الكبار
في نسيج الكذبِ
وأعْلق في شباك التعبِ
أنفض نفسي
وقبل انقطاع خيط الوشاح
أعود طفلاً جائعاً في المساء
أغرف من شفتيكِ حسائي
وفي عينيكِ أراقص خيال الماء..

أوان العشق

تستدرج وجدي بهمسها
فأخرج من نفسي
وألقاها تجلس على ضفة جسدها
تكاد تسقط فأسندها
ألتهبُ بلمسها
وتشتعل بلمسي
يتبدّد أمسها وأمسي
الوقت يتبعثر
فيتلاشى من زمانينا الأمس والغدُ والعددُ
ويدركنا الأبدُ!

* * *

كنّا جسدين منزوعي المكان والزمان
نخوض في الجهات الست
أمّا الجهة السابعة
فانبثاق الحي الجديد

من امتزاج العناصر

في رحم الساعة التاسعة!

* * *

أيَّ جمرٍ أيّها الصبُّ تؤجّجُ؟

أطيافٌ تتراقص

وظلالٌ تتموّجُ

كأنّ القلب في خفقه قلوبٌ شتّى!

أشواقه بالوصل تلتهبُ

فراشات أحلامه إشارات

ورماده أشباحٌ وآهات

* * *

خيال العاشق أمره عجبُ

كأنَّ حبَّه،

لكلِّ حادثٍ في الكون،

هو البدءُ والسببُ

يكتب بالغيم

ويقرأ بالمطرِ

وما تمحوه الريحُ من الأثرِ

يعود من جديدٍ بالشوق ينكتبُ

فكيفما أحوال الكون تكون وتتحوّلُ

يؤسطرها العشقُ ويتأوّلُ
كأنّه المدار والأَرَبُ!

ناظم حكمت.. الأجمل يصل وطنك أخيرا!

((أجملُ البحار

هو البحر الذي لم نذهبْ إليه بعد

وأجملُ الأطفال

هم الذين لم يكبروا بعد

وأجملُ الأيام

هي تلك التي في انتظارنا

وأجملُ القصائد

هي التي لم أكتبها لك بعد

...يا صغيري

...يا صغيري))

ناظم حكمت، ترجمة د. محمد قصيبات

إيه يا ناظم كم من الوقت كان مطلوباً

لنعرفَ ما عرفتَ

عرفتَ مبكراً جداً

أنّ عظام الثوار

أقوى من الانكسار

داخل السجون

عرفتَ مبكراً

أنّ عظام الثوار

إذْ تطقطق فهي إنّما تضحك

من هشاشة القضبان

وتسخر

من غباوة وخوف السلطان

وأنّ كل قضبان العالم

لن تخنق حنجرة شاعر

ولن تحبس قصيدة

ولن تكبت حلما

وأنّ الأشعار

ستحلّق خارج القضبان

وتحطّ في قلب الإنسان

ذاك الذي غنّيتَه

قبل أن يولد

ليغنّي أغنيتكَ

ويسرد قصتكَ

* * *

إيه يا ناظم لقد عرفتَ

وعرفتَ مبكراً جداً

أنّ كل يوم يمضي

يزداد الذين يعرفون أكثر

وإنْ عشتُ بعدكَ

فلكي أروي قصتكَ

قصتكَ تبدو قصيرةً

في سجلات الطغاة

وطويلةٌ قصتكَ في قلوب الفقراء

بين السجن والمنفى

كنتَ ناظمَ الشِّعر الأصفى

وكنتَ الشاعر الأجمل

لكي يعرف الوطن أنّه أجمل

لكي يعرف الإنسان أنّه أجمل

وأنكَ عرفته قبل أن يولد!

وأنكَ غنّيتَه

قبل أن يولد

***

وطنك الذي كان سجنا

ومنفاك الذي صار وطنا

وطنك اليوم تعلّم الغناء

وصغيرك قد كبر

وتعلم الغناء

والقصائد الأجمل

عادت من منفاها

ووصلتْ إلى وطنكَ أخيرا!

***

ونحن لن ننسى قصتكَ

فهي قصتنا

قد نقصّها متأخرين

والشتاء أحيانا قد يطول

لكنها تظلّ قصتنا

ولا بدّ من نسيان النسيان

لنتذكر الإنسان

ذكّرْتَنا مبكراً

أنْ نبدأ بالغناء

وأنّ شِعر الإنسان

هو الوطن الأجمل

أيّها الشاعر الأجمل!

قهوة وخمر!

يمتزج طعم القهوة
بلون عينيكِ
طعم الصحو
ولون الوجد
يُلاشيان الروح وينثرانها
بين صحوٍ يصبو
ووجدٍ يصحو
* * *
يا إلهي، رفقاً بكائنٍ على قيد العشق
رشفتْه عينانْ
فامتلأ بالشوق
وانتثر في الأكوانْ..
* * *
ليلى، غالا، إلزا، (.....)
أأسماءٌ أمْ أقدارُ

تقود إلى الأبدية

في وحشة عالم

تدوّمهُ الأخطارُ..؟

***

حينما مسّتكِ شفتايَ

سمعتُ نشيش النار في الخلايا

وقفزات البلوط فوق جمر الحشايا

يا شتاء الروحِ

تعرّقْ وتعرّى

فرائحة الوصل

فاحت

وانخذلت كلّ الوصايا

***

رقصة الليل الغجري

مزجت فينا كلّ المواسم

في موسم الخمر

ولم يصْحُ من الأمور غير أمر!

آه يا روحي

آه يا روحي
يا غربال حبها..
يا نديمي لنْ تراني
إذا نظرْت إليَّ
بل تراها إذْ تراني
***
آه يا روحي
يا مقام النوى
أين منه مقال الجوى؟
يا حرْث الهوى
ويا حقل الأشواق..
نثرتكَ العيونُ
وما لمّتكَ الجفونُ
***
آه يا روحي

يا شرفة البحرِ

ويا رفيف الطيرِ

ويا خرير الخمرِ

لم تطقْ سكناً

ولم تجدْ وطناً

فتهْتَ في فيافيها

وضعْتَ في لياليها

عمْركَ شوْقٌ

ووقتكَ جناحُ

وعيناها الفنار..

***

آه يا روحي

يا عالَمي الصغير

لفظَكَ العالم الكبير

وبثّ فيكَ من عطاياه

ومن خفاياه نثْرا

اعتصر العشقُ

كلَّ خطابٍ

فتقطّر شِعْرا..

الخيول الحمر

تلاهثا
كالزبد الأبيض
فوق أمواج
الصبابة المتكسّرة
على ساحل التباريح..
***
بين الزرقتين
تراشقا
بالكرز والورد
حتى جرّحا
شفتيهما بحمرة الجوى
***
تلوّيا
كغصنين غضّين
في شجرة تين

وتعانقا

مبلّلين بندى سَوْرة عشقٍ بكْر

***

تحطّم سياج الحظيرة

وانطلقت الخيول الحمْر

في البرية بلا سروجٍ وبلا ألجمة

منفلتةً كالريح

في الحقول الخضْر

***

بعد أنْ حبس حرّاس الظلمة

النجوم الفضّيّة طويلاً

خلف سديم الكوابيس

سطعت الرغبة أخيراً

في ليل العالم..

الغواية

أزيز الوجدِ
نحلٌ يلسع جسدينِ
فوق سرير الوردِ
شفاهٌ جائعةٌ
ولسانان ورديّان
يلعقان عسلاً ذهبياً
يقطر من شمع الخلايا
النجوم تذرو ما تشعله
من أعشاب السماء
على جسدين عاريين
ملتحمين في بستان الليل
يقضمان تفاحةً حمراء..

* * *

عند تساقط الظلام
من عيون الليل

تنام الظلال

وتركض الغزلان

يغصّ الكلام

بلهاث الأنفاس

ويتلمّس الدال

أطراف المدلول

يتصاعد بخارٌ لاذع

من رحيقٍ غامض

وواحات الشغف

تغوي الصحراء

وينفلق الثمر

فماً فاغراً يضجّ بالشهوة..

* * *

يتناثر التفاح المقضوم

عند بوابة الفجر

بعد انتهاء الجسدين

من وليمة الخلق

يغيبان في خدر النعاس

وتستغرق الذاكرة

بعد ارتواء الحلم

في نومٍ عميق..

* * *

ينسكب النهار

فى سواقي الوجود

وتنساب الحشود كالأنهار

بين حبٍّ وكدحِ..

تدور الأغنيات

ويعلو خرير الزمان

تنبجس أعمارٌ

وتُخْتلسُ أعمارُ..

بعد البحر دخلنا الدغل

رُميتُ في اليمّ
فاصطبغ بلونكِ!
وردّتْني موجة اللهفة إلى الشاطئ
مأخوذاً ومشدوداً
ببريق عينيكِ
توغلنا في دغل الخضرة الكثيفة
وكانت كل خطوةٍ تخدش شوقاً
يجرّح ويبرّح
مويجات الروح اللاهثة
لم نكن نتّحد
كنّا نتكثّر!
بالنظرة
والهمسة
والشمّة
واللمسة

والضمّة

والرشفة

كنا نتلوّى ونتلظّى ونتشظّى

وبالوصل كنا نسيل

فوق فراش الدغل المبعثر

والروح تبتسم كإله

انتهى لتوّه من ستٍّ

وراح في غفوة السابع!

قطط فيرونا

شباط ومواء القطط
صرخات فضيحةٍ في عري الأمسيات
تفترس الأبعاد وتلتهم المسافات
وقاطنو الشتاء يلوكون الرعشات
يدسّون أصابعهم في الثنايا
ينفخون في جمر الحكايا
وينصتون لطقطقات البلّوط
وهْم الدفء يشيع في حجيرات القلب
والجسد المنكمش على نفسه
ينفش وبَرَه البرّي ضدّ برده
والروح في وحدتها تتوهّم اختلاق الشريك
الخيال الماجن يؤثّث أركان المأوى الشاحب
بالفرو الأنثوي الدافئ
وبمقتنياتٍ غريبةٍ مكسوّةٍ بأصباغٍ وحشية
من أسفارٍ استوائية..

يرفع عن المنضدة بقايا بطاطس العشاء
عجباً، ألموائد الفقراء
بقايا طعامٍ بعد العشاء؟!
ويفرش حكايةً شتائيةً إيطاليةً طويلة..
***
- سأغيّر اليوم مسار الأحداث
وأقلْب مصائر الأفراد
سأسلّط أضواء الرغبة
على مسرحٍ مهجور
سأفكّك الحبكة إلى عناصرها الأولية
لست بحاجةٍ إلى جوقةٍ أو شخصياتٍ ثانوية
ولست بروميو لأقف تحت شرفتها
فأحلامي كلها شرفات
تطلّ على ما وراء الطرقات
فأنا الآن المخرج والممثل والجمهور
غرفتي ليست فاخرةً كغرفتها
لكنني سأؤثّثها بالخيال الآثم
وأخشاب الصاج
وحرير من شرق الإنسان!
وألفّ زجاجة النبيذ الأحمر

بشرائط الورق الملوّن
وأرشّ عطر الليمون
في فضاء عرسٍ ليلي
بلا مدعوين أو طقوس
سأمضغها حتى الصباح..!
* * *
روما لم تعد روما
والبلاط أقدس من أي رباط
لندن ليست فيرونا
كما أنّ إليزابيث ليست آن بولين
لِتَمتْ جولييت إذاً!
فلا يُهزم الإنسان إلاّ بهواه
هناك دوماً ما يفسد الأمور آخر المطاف
إنّها عادة الرياح
أن تذرو كل شيءٍ وتطفئ كل نار..
الشرفة خاليةٌ
والمطر يجهش
وفيرونا ترتدي معطفها الأسود
حزينةٌ ومبْتلّةٌ فيرونا
أنغامٌ جنائزيةٌ تجوب شوارعها

((كابيوليت: كل استعداد أجريناه لحفلتنا الحسناء

قد غيّر وجهته لجنازتنا السوداء))[1]

بين موتٍ وهميٍّ وموتٍ حقيقيّ

ثمة مفارقةٌ شاحبةٌ ممددة

يشيّعها القدر المتجهم والمتعجّل

القدر السادر في الشطط..

من جديدٍ في عري الليل تموء القطط

لا شيء غير مواء القطط

كلبٌ ينبح تحت النافذة فجأةً

الكلب، دوماً، يحرس شيئاً ما

والنباح، دائماً، يربك لصّاً ما

يوشك أن يلمس الأحجار الكريمة في الظلام

فرّت قطط الشهوة..

أغرق المطر كل شيء

وذاب الجمر في الرماد

خفتت الأضواء واختفت الظلال

والظلام سحب الستارة وانسدلت الجفون

على مسرحيةٍ انتظمت بخيطٍ غير منظور..!

---

(1) شكسبير، مسرحية روميو وجولييت، ترجمة محمد عناني.

(نجم) و (مانديلا)

سما (نجم) في السماء العربية
بعدما أشعل في أكوام الحطب
كل عيدان الغضب
لعلّ الأشجار تحنو على الفقراء
بظلّها..
وينخسف ظِلُّ السلطان

***

وفي السماء الأفريقية
زها نجم (مانديلا)
بعدما مزج كل الألوان
في لوحة إنسان

***

توغّلا بعيداً في كل الجروح
والآن..
يلوّحان لكل نفسٍ معذّبةٍ ولكل روح
وينثران الأحلام على كل الأوطان..

تداعيات

الشعر هجرةٌ
والشاعر مهاجرٌ أبدي
قاربه الكلمات وبحره العشق
يجمع الندى من بتلات الورود
يقطف باقات النور من حدائق النجوم
ويملأ كأسه من حبّات الكروم
كأنّه يأكل الوجود إذْ يقضم التفاحة الحمراء
كأنّه يشرب الماهية إذْ يرشف الرضاب العسلي
كأنّه ينطق عن الأبد المكتوم في الخلايا
يصارع تموّجات الغواية
وغرابة الألفاظ
يتوسّد العشب ليلاً
ويبوح للفجر بأشواق المساء
همسها حريرٌ وصوتها خرير
يذكر صخب الأضواء

في عينيها

ما الذي يعيده لعينيها؟!

يا لعينيها

كم رشفته

ونثرته

نجوماً في مجرّات الحلم..

المحتويات

عن الشعر والمفارقة..... 5

البحر والشاعر وقصيدة..... 7

هجرة..... 10

أنت والمطر..... 19

السماء في مدينتي..... 21

من يحلّق ليلا ؟..... 23

بغداد..... 27

سيدوري، زيديني خمراً..... 33

صرخة..... 39

بعضك كلي وكلك المحال..... 43

عَشَرَات..... 47

ليلة موحشة..... 49

شجرة التوت..... 51

الموت السعيد..... 54

الفردوس البشري..... 58

سيرة الرماد..... 62

شتاء آخر..... 63

مسافر..... 65

أضاءت وفاح الفالس..... 67
صباح مساء 69
أوان العشق..... 71
ناظم حكمت.. الأجمل يصل وطنك أخيرا 74
قهوة وخمر 78
آه يا روحي..... 80
الخيول الحمر..... 82
الغواية..... 84
بعد البحر دخلنا الدغل..... 87
قطط فيرونا..... 89
(نجم) و (مانديلا)..... 93
تداعيات 94

المفارقات

شعر

نبيل محمود

منشورات

دار ومكتبة الأمير

07901797435

المكتبة الوطنية

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

1033- لسنة 2014

ما جدوى الرحيل ؟

وخيباتنا تملأ الحقيبة

والأحزان فوق الأحزان

تسيل منها الأوطان

نغسل الوجوه من بقايا الكوابيس

ونمحو تجاعيد الخوف من طيّات الحروف

الكلمات أصوات الغياب

توقظ فينا ما يتوارى..

ما أحوج الإنسان للنسيان

عند اكتظاظ الذاكرة بالآلام

لا سلام عند إطباق الجفون

فمنذ الميلاد وحروب الأشباح

دائرة في الأرواح

ما الذي يتخلّف من الحيوات؟

غير أغانٍ وحكايات

تعزفها أنغامٌ

وتسردها كلمات..

دار ومكتبة الأمير
طباعة - نشر - توزيع
بغداد - شارع المتنبي/ ٤١٦١٩٦٣
ساحة الطيران/ ٨١٦٩١٠٧
نقال: ٠٧٩٠١٧٩٧٤٣٥